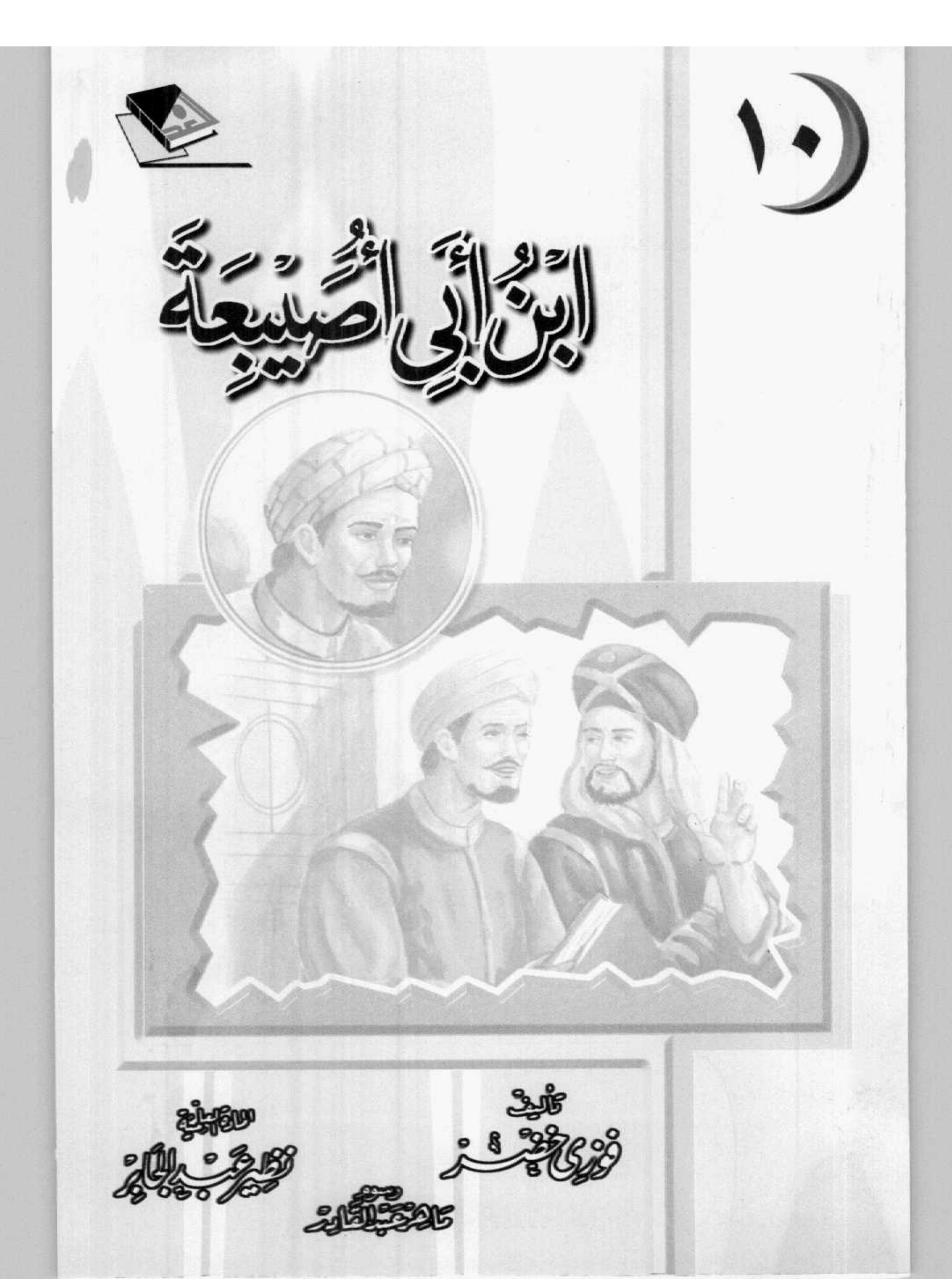

١٠
ابن أبي أصيبعة
تأليف
فوزي خضر
الإدارة الفنية
نظير عبد الجابر
رسوم
ماهر عبد القادر

الناشر : مكتبة ومطبعة الغد
العنوان : ٢٣ ش سكة المدينة - ناهيا - إمبابة - جيزة
تليفون : ٣٢٥٠٢٠٢
رقم الإيداع : ٨٣٢٠ / ٩٩
الترقيم الدولى : 0-35 - 5819 - 977
رسوم و إخراج فنى: ماهر عبد القادر
خطوط : مصطفى عمرى
مراجعة لغوية : حمزة عبد المنعم الزمر

الطبعة الأولى : صفر ١٤٢٠ هـ - يونيو ١٩٩٩ م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَارَ الْفَتَى مُوَفَّقُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ القاسم السعدىّ فى بساتينَ دمشْق ، ذَاتِ الأشجارِ المحمَّلَة بالْفوَاكه ، وذَاتِ الأزَاهيرِ الملوَّنَةِ البَديعة ، والطيورِ المغرِّدَةِ الجميلةِ ، سار يُفكِّرُ فى أحْوالِه، لقد نال رعايةَ أهْله مُنْذُ موْلده سنة (٦٠٠) ستمائة للهجرة ، وتَعلَّم كما يَتَعلَّمُ الصِّبْيانُ ، فَحَفِظَ القرانَ الكريمَ ،





ودرسَ الحديثَ النبويَّ الشريفَ ، ودرس جانباً من الفقهِ ومن الحسابِ واللُّغَةِ والأدبِ والتاريخِ وغيرها من العلومِ ، ثم درس الفَلْسَفَةَ ، وبعد ذلك درس الطبَّ ، علّمه والدُهُ العلومَ الطبيَّةَ، وجَعَلَه مُتَخَصِّصاً فى أمراضِ العيونِ ، وبالرَّغمِ من أنَّ وَالده من أمْهَرِ أطبَّاءِ العيونِ فى دِمْشقَ إلا أنَّ مُوَفَّقَ الدين رأى أنَّهُ فى حاجةٍ إلى مَزِيدٍ من التعمُّقِ فى هذا المجالِ .

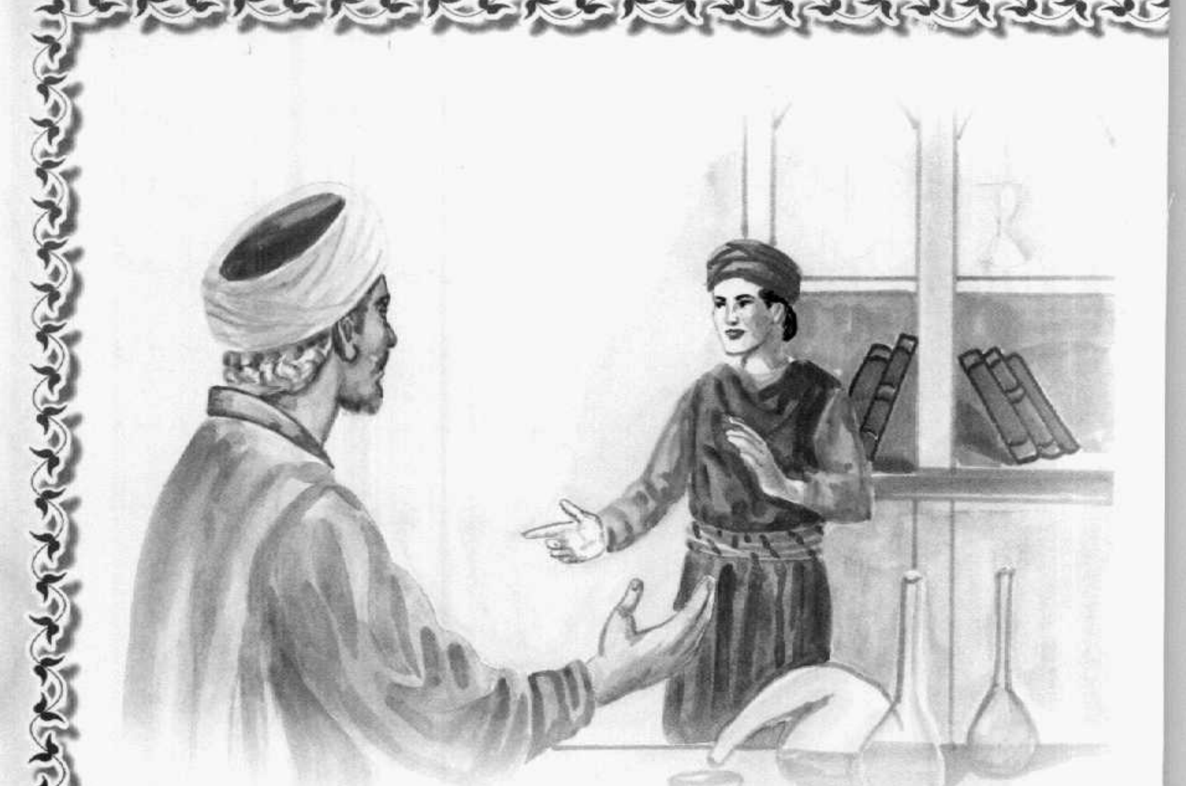
نَشَأَ مُوَفَّقُ الدِّينِ فى بيْتِ علمٍ وأدبٍ ، وربّاهُ والدُهُ على الصِّفَاتِ الإسلامية من صدقٍ وصراحةٍ وأدبٍ وشجاعةٍ وأمانة ، لذلك جَلَسَ مُوَفَّقُ الدِّين يَتَحدَّثُ إلى والدِهِ بِمُنْتَهَى الصَّراحَةِ . . . فقال :

إنِّى أُرِيدُ أنْ أتَعَمَّقَ فى دراسَةِ طبِّ العُيُونِ يا أبى . . . فبماذا تُنْصِحُنِى ؟؟

قال له والدُهُ :

ألا تكْتَفِى بما عَلَّمتُك إيَّاهُ يا موفَّقَ الدِّين ؟؟





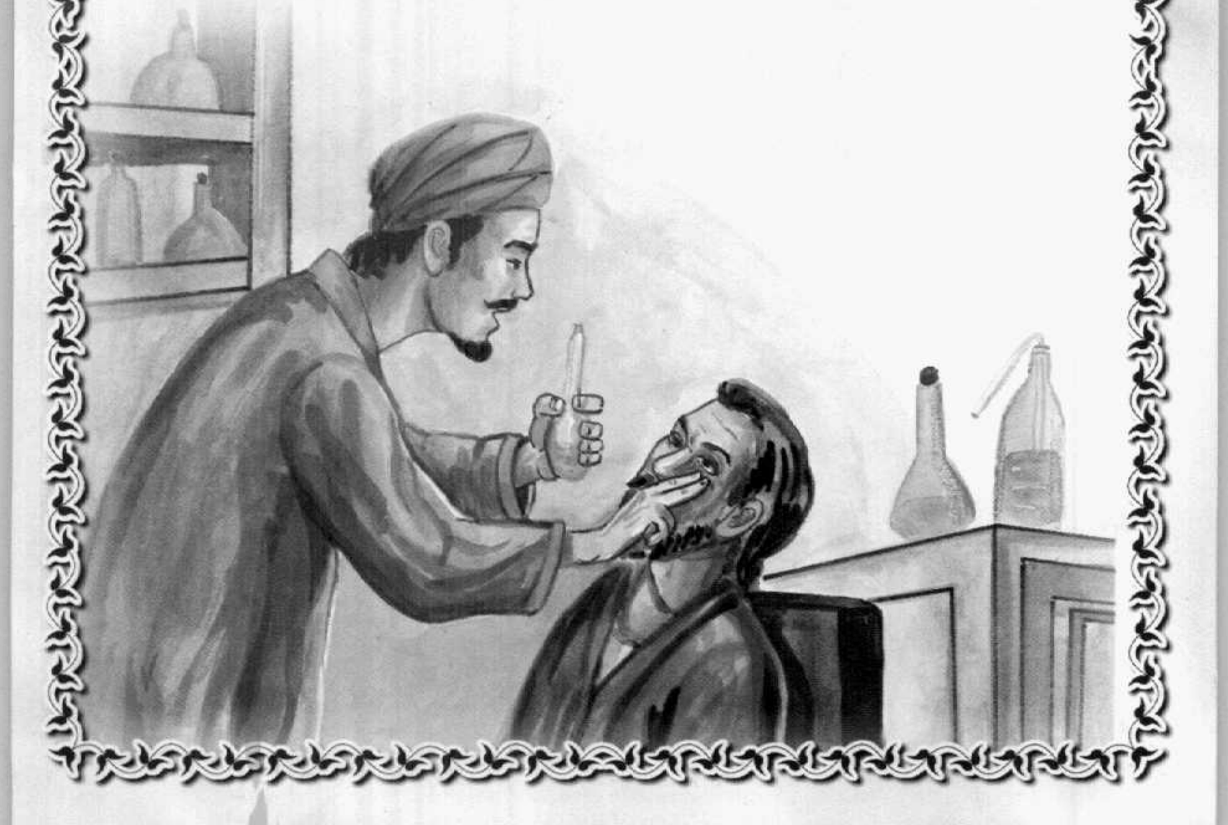
فأجابَ : بلْ أبْغِى المزيدَ يا أبى .

فقال والدُه : إذَنْ عَلَيْك بالتِّرْحَالِ إلى حيث يَتَجَمَّعُ أَكْبَرُ العلماءِ فى دَوْلة الإسلام . . . إلى القاهرة .

سافر مُوَفَّقُ الدّين إلى القاهرة ، وكانت الدولَةُ الأيُّوبِيَّةُ آنَذَاكَ فى عِزِّ مَجْدِهَا ، فَالْتَحَقَ بالعمل فى المسْتَشْفى الناصرىّ ،



الذى كان قد بناه السلطانُ الناصرُ صلاحُ الدين الأيوبىِّ مُحَرِّرُ القدسِ من المحتلِّين ، واجْتَهدَ موَفَّقُ الدين ، فأخذَ يَعْمَل فى تحصيلِ العلم ليلاً ونهاراً ، لَمْ يَتكَاسَلْ ، وبَذَلَ الجهدَ الكبيرَ ، ولَمْ يَقِفِ التَّعَبُ حائلاً بَيْنَهُ وبيْنَ الاجتهادِ فى العلم والتعلم ومُمَارسةِ مهْنَة الطبِّ ، فاشْتَهَر بذكائه وحُسْن مُدَاوَاته لأمْراضِ العيونِ ، فَاستَلْفَتَ نُبُوغه نظَرَ الْمَلِكِ الأَيُوبىِّ ، لذلك ألْحقَهُ



بِخِدْمَةِ الدولة ، وصار طبيباً خاصاً للقصر الملكى فى مصر ، فزادت شهرته .

وسَمِعَ عنه الأميرُ عِزُّ الدين الذى كان يَحْكُمُ (صرخد) ، وهى إِحْدَى مُدُنِ جِبَالِ حورانَ ، فأرسلَ فى طلبه .

حين وَصَلَ موفَّقُ الدين بْنُ أبى أُصَيْبِعَةَ إلى (صرخد) أعْجَبَهُ مَنَاخُها ، فمكث فيها حتى وفاته سنة (٦٦٨) للهجرة .

وقد عُرِفَ مُوَفَّقُ الدين باسم جَدِّه ، فاشتهر باسم ابْنِ أبى أُصَيْبِعَةَ ، فقد سُمى جَدُّهُ أَبُو أُصَيْبِعَةَ ، لأَنَّهُ كان فى يَدِهِ أُصْبعٌ صَغِيرٌ زائدٌ .

جَلَسَ ابنُ أَبِى أُصَيْبِعَةَ ذَاتَ يَوْمٍ إلى أمين الدولة وزيرِ الملك الصالحِ نجم الدين أيوب ، ودار بينهما حديثٌ عن الطبِّ والأطباءِ ، ولاحَظَ الوزيرُ أنَّ ابْنَ أبى أُصَيْبِعَةَ يَعْرِفُ معلوماتٍ وافرةً عن الأطباءِ الْقُدَامَى والأطباءِ المعاصرين له ، وأنه لا يكتفى بمعرفة الأطباء العرب ، بل يعرفُ أيضاً مشاهيرَ الأطباءِ



من الأمم الأُخرى ، مثل اليونان والهنود والسريان ، وتَعَجَّبَ من سعَةِ اطِّلاعه فى تاريخ الطبِّ ، لذلك طلب منه الوزيرُ أمينُ الدولةِ أَنْ يُفَكِّرَ فى تأليف كتاب يَضُمُّ الأطباء .

فكَّرَ مُوَفَّقُ الدين بنُ أبى أُصَيْبِعَةَ فى الأمر ، ووجد أَنَّهُ سوفَ يكونُ أمراً مُجْهِداً للغاية ، أَنْ يُؤَلِّفَ كتاباً يَجْمَعُ كلَّ الأطباءِ الذين ظَهَرُوا فى العالم ، لكنَّهُ كان يُدْرِكُ أَنَّ كلَّ إنْجَازٍ كبيرٍ يَحْتَاجُ إلى جُهْدٍ كبيرٍ يُساوِى حَجْمَ الإنجاز ، لذلك بدأ البحثَ،

وَأَخذَ يجمّعُ أخبارَ الأطباءَ من الكتب المختلفة بكافة اللغات حتى تَوَصَّلَ إلى معلوماتٍ

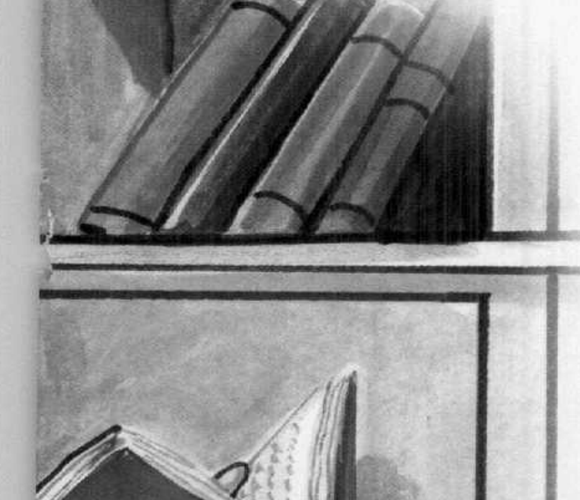


يمكنهُ أنْ يَبْدَأَ بها كتاباً ضخماً عن الأطباء ، وجَعَلَهُم فى طبقاتٍ ، طبقَةٍ من الأطباءِ الأوائل ، ثم طبقةٍ تليها ، ثم طبقةٍ ثالثةٍ تعقب الطَّبَقَتَيْنِ السابقتين ... وهكذا ، وأسْمَى كتابه : « عيُونُ الأنباءِ فى طبقاتِ الأطباء » .

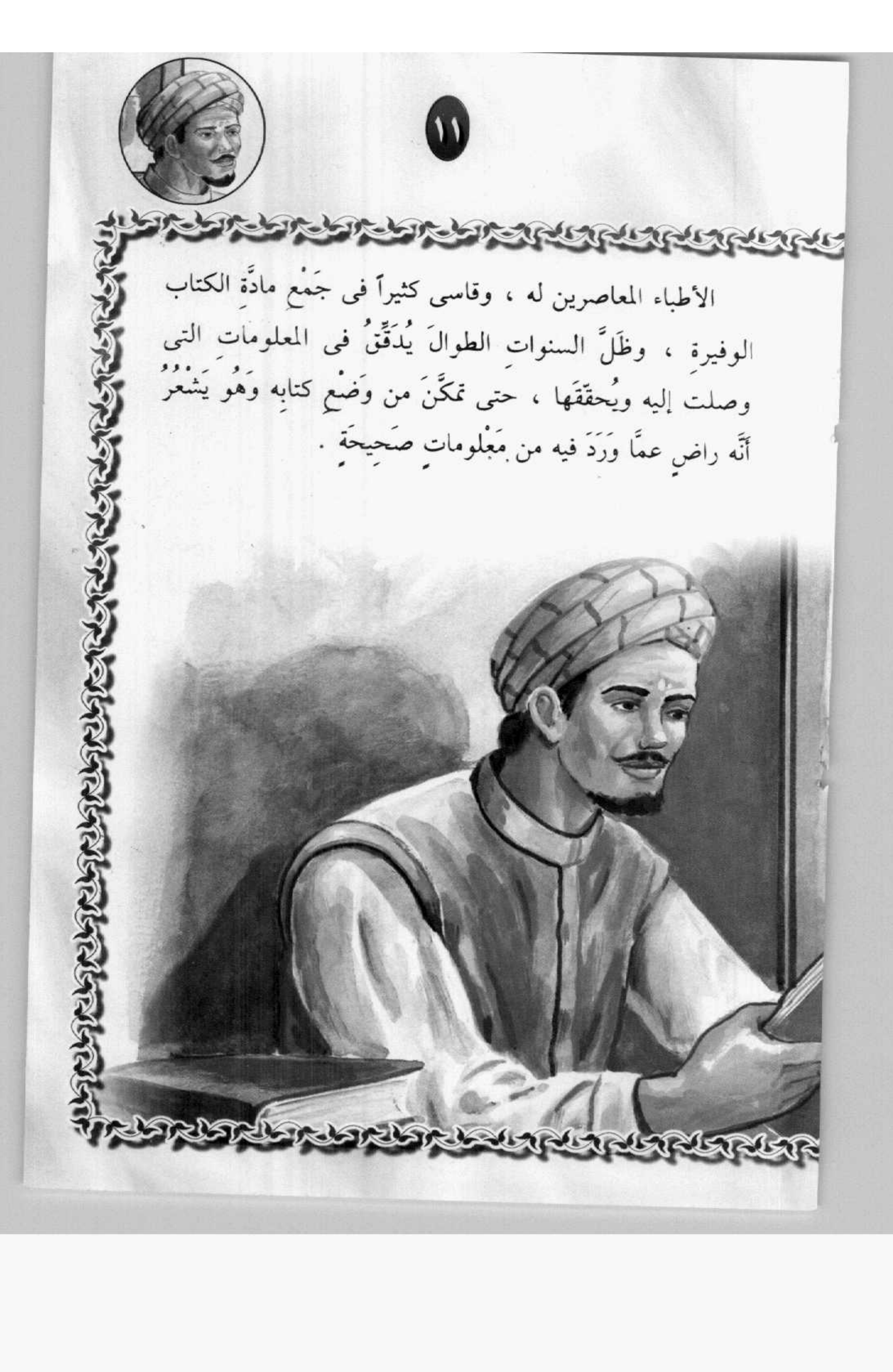


وَاشْتَهَر باسم « طبقاتِ الأطباءِ » .

يَقَعُ الكتابُ فيما يَقْرُبُ من سَبْعَمائةِ صفحةٍ من القطع لكبير، وطُبِعَ ثَلاثَ مراتٍ ، مرَّةً فى سنة (١٨٨٤) للميلاد ، وتَمَّ طبْعُهُ بمعرفةِ الْمُسْتَشْرِق الألْمانِىِّ (مولر) ، أمَّا المرَّةُ الثانية فَتَمَّ طبعهُ فى القاهرة سنة (١٢٩٩) للهجرة ، بمعرفة المطابع المصريَّة ، وكانت المرَّةُ الثَّالثةُ فى لبنان سنة (١٩٨٧) للميلاد .



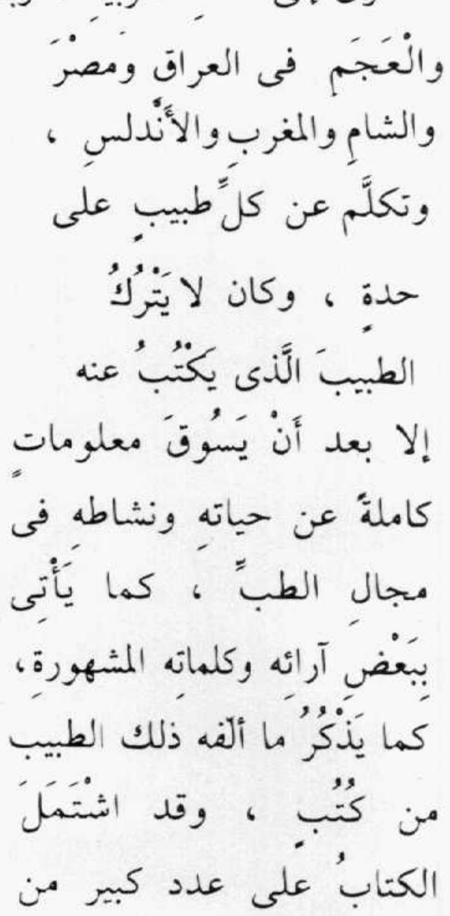
كان يَعْلَمُ مُوفَّقُ الدِّين أحمدُ بن أبى أُصَيْبعةَ أنَّهُ سَيَبْدَأُ عملاً كبيراً ، لذلك تَوَكَّلَ على الله عزَّ وجلَّ ، وبَدَأَ فى جَمْعِ المعلوماتِ عن



الأطباء المعاصرين له ، وقاسى كثيراً فى جَمْعِ مادَّةِ الكتاب الوفيرةِ ، وظَلَّ السنواتِ الطوالَ يُدَقِّقُ فى المعلوماتِ التى وصلت إليه ويُحققها ، حتى تمكَّنَ من وَضْعِ كتابِه وَهُو يَشْعُر أنَّه راضٍ عمَّا وَرَدَ فيه من مَعْلوماتٍ صَحيحَةٍ .

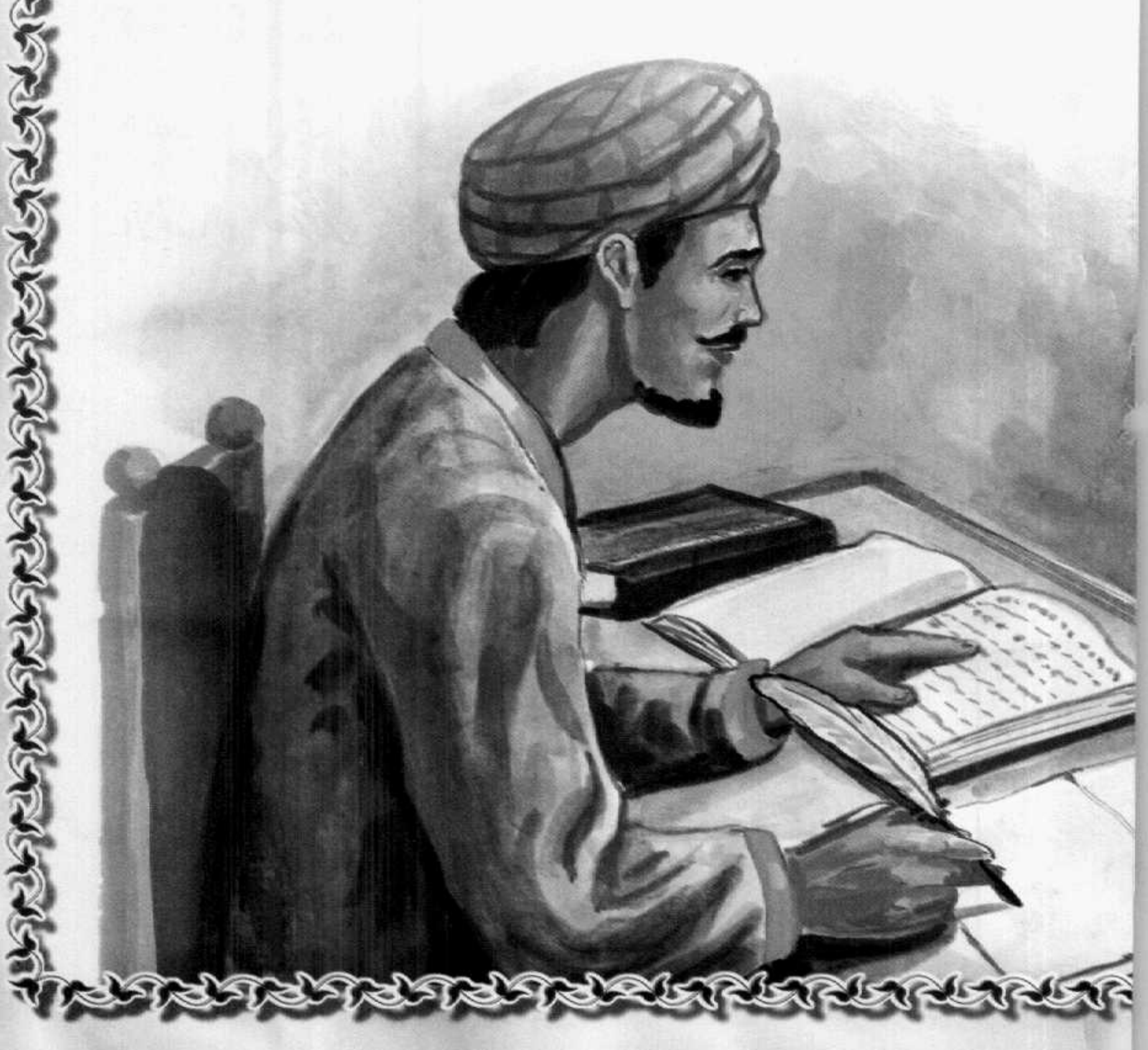


بَدَأَ ابْنُ أبى أُصَيْبِعة كتابَ طبقات الأطباء بالحديث عن نَشْأَةِ الطبِّ فى العالم والأقوالِ التى تَنَاقَلَتْهَا الكُتُبُ فى ذلك ، ثم تكلَّم عن أطبَّاء اليونانِ والرومانِ ، ثم عن أطبَّاء الْهِنْدِ ، ثم عن الأطباء السُّرْيانِ الذين تَرْجَمُوا الكتبَ الطبيَّةَ من اللغات الأخرى إلى اللُّغةِ العربيَّة ، وبعد ذلك تكَلَّمَ عن أطبَّاءِ الْعَرَبِ والْعَجَمِ فى العراق ومصْرَ والشامِ والمغربِ والأَنْدلسِ ، وتكلَّم عن كلِّ طبيبٍ على حدةٍ ، وكان لا يَتْرُكُ الطبيبَ الَّذى يكْتُبُ عنه إلا بعد أَنْ يَسُوقَ معلوماتٍ كاملةً عن حياتهِ ونشاطه فى مجالِ الطبِّ ، كما يَأْتِى ببَعْضِ آرائه وكلماته المشهورةِ، كما يَذْكُرُ ما ألّفه ذلك الطبيب من كُتُبٍ ، وقد اشْتَمَلَ الكتابُ على عدد كبير من





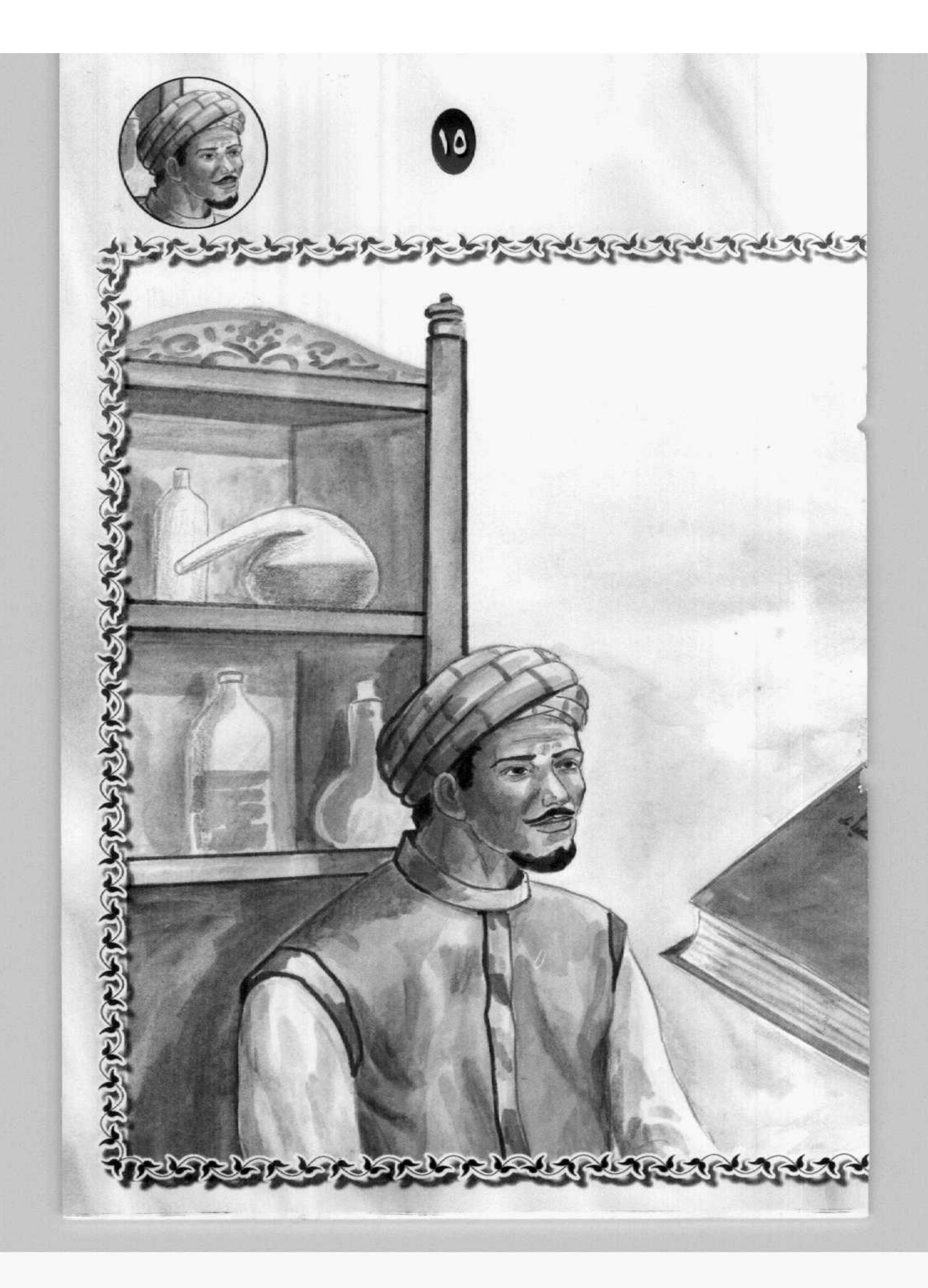
المشاهير الذين لَمْ يُعْرَفُوا كَأَطِبَّاءَ ، بل اشْتَهَرُوا فى مجالات أُخْرَى ، وكَشَفَ ابْنُ أَبِى أُصَيْبِعَةَ أنهم كانوا أطبَّاءَ، إلى جانب كَوْنِهِم شعراءَ أَوْ أدباءَ أو علماءَ دينٍ أو علماءَ فى مجالاتٍ أُخْرَى .





كَتَبَ ابْنُ أبى أُصَيْبِعَةَ عن (٤٠٠) طبيبٍ فى كتابه : «عيونُ الأنباءِ فى طبقات الأطباءِ» وبَذَلَ فى ذلك جُهداً خارقاً ، ممَّا جعل من كتابه مَصْدَراً لتاريخ الطب فى العالم حَتَّى القرن السابعِ الهِجْرِىِّ الَّذى عَاشَ فيه ، ولَمْ يَتَعَرَّضْ أحدٌ فى أَرْجاءِ





العالَمِ لِلْكِتَابة عن تاريخِ الطبِّ إلا كان كتابُ ابْنِ أَبِى أُصَيْبِعَةَ أَهَمَّ المصادرِ التى يُرْجَعُ إليها ، بِصِفَتِه كتاباً شاملاً لكلِّ الأطباء تقريباً ، ويَشْتَمِلُ على معلومات صَحِيحَةٍ لا يَشُوبُها الشكُّ من قريبٍ ، أَوْ من بعيد ، فهو كتابٌ ذُو قيمةٍ رفيعة اجْتَهَدَ ابْنُ أبى أُصَيْبِعَةَ ، وَجَمَعَ مادَّتَه بأمانةٍ وتدقيق فصارَ من أَهَمِّ الكتبِ فى العالم .